دور الإعلام في إخماد الفتن

لا بد من الترفع عن الأهواء، والبعد عن حب الظهور، والابتعاد عن الانتصار للنفس والتشفي وقت الأزمات

يذهب الشيخ علي بن عمر بادحدح في تأكيده لأهمية الإعلام اليوم إلى أنه أصبح مصدراً من المصادر الأساسية، بل يكاد يكون عند كثير من الناس هو المصدر الأول لمعرفة المعلومة وتحليلها ومعرفة ما وراءها، سواء ما يسمعه الناس من الإذاعات، ويقرأونه مكتوباً على الصحف، ويشاهدونه على الشاشات،ويقول في إحدى محاضراته حول فقه الأزمة والفتن تأتي مسئولية الكلمة، ومسئولية الإحكام في الحديث عن الأمور كلها، وخاصة في الأحوال التي تكون فيها التباسات واشتباهات، ومن هنا ندرك عظمة الكلمة في منهج الإسلام: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ × إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿الإسراء:٣٥-٣٦﴾ وفي حديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً تهوي به في النار سبعين خريفاً)، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم عند البخاري : (الرجل يتكلم بالكذبة تبلغ الآفاق)، وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه يعذب بكلاليب يؤتى بها إلى فمه ثم تشقه إلى آخر شدقه، ثم يعود كما كان، ومن هنا لابد لكل أحد في كل دائرة من دوائره حتى في أسرته وفي دائرة قرابته من التثبت، فيجب أن نحرص على الانتباه لهذا، والدقة فيه، فإنه قد يكون أمران متناقضان أو متباعدان والوسط بينهما هو الحق، فثمة مبالغة في التهويل، أو مبالغة في التهوين، وليس ذلك مطلوباً، ولا هذا مرغوباً، بل ينبغي الحرص على الحقائق، وليس كل ما يعلم يقال، فإن من الأمور ما ينبغي إخفاؤه أو عدم التصريح به؛ لئلا يتسبب في أمور من البلبلة، أو غير ذلك. وهذا رسول الهدى صلى الله عليه وسلم بلغه في ذلك الموقف العصيب في يوم الأحزاب نقض بني قريضة للعهد، فلم يقبل الخبر على عواهنه، بل أراد تثبتاً وتبيناً فأرسل السعدين ليستجليا له الخبر، ثم قال: (إن علمتما خيراً فأذيعا) أي: إن كان الأمر أن القوم على عهدهم فانشروا ذلك وأذيعوه وبثوه في وسائل الإعلام؛ لتثبت القلوب، وترتفع الروح المعنوية، وتزيل البلبلة، قال: (وإن كان غير ذلك؛ فالحنوا لي لحناً لا يعرفه غيري) أي: قولوا قولاً ليس صريحاً لا يفقهه سواي؛ حتى لا يذاع الخبر فيكون سبباً في شيء من إضعاف المعنويات، أو في شيء من الخوف، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (عضل وقارة)، ذكروه بأخبار بعض من سلف من الغادرين، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (أبشروا، الله أكبر! الله أكبر! أبشروا أبشروا) أراد أن يطمئن النفوس والقلوب، وإن كان قد أخذ بالأسباب، ولم يغب عنه ما ينبغي أخذه في مثل هذا الأمر، لكنه كان يدرك عليه الصلاة والسلام كيف ينبغي أن تبث الأخبار وأن تنشر الوقائع، كما نرى أحياناً في وسائل الإعلام بعض ما يحصل من الجرائم والفواحش، ويذكرون قصصها وتفاصيلها، فيكون أثر ذلك في بعض الأحيان من الناحية السلبية أكثر من الإيجابية، فتهون المعاصي في نفوس الناس، وتجرئهم عليها، وقد تبين لهم سلبها، وذلك ما يقوله الإعلاميون والتربيون والنفسيون فيما تبثه الوسائل الإعلامية من الأفلام الإجرامية والعنفية وغير ذلك. فينبغي أن نراعي ذلك، وأن نلتفت له، فلابد من الدقة في استخدام المصطلحات، وتحرير محل النزاع، وعدم إطلاق الكلمات التي لها دلالات مختلفة دون تعيينها وتحديدها، حتى لا يحصل من ذلك ما يكون فيه أثر غير محمود.

ينبغي ألا نتبادل الاتهامات، وألا نسمح للاختراقات أن تشقق أو تفتت وحدتنا، وتزايد على لحمتنا، وتمس أصل اجتماعنا وائتلافنا على أصل ديننا

الإخلاص والتجرد

ويضيف الشيخ علي بن عمر : إن الأزمات يتأكد فيها الإخلاص لله عز وجل، والتجرد من المصالح والمنافع الذاتية، والارتباط بمصالح الأمة والمصالح العامة، فإنه من غير المقبول مطلقاً أن يكون هناك اتباع لأهواء النفوس لتحصيل المكاسب، أو لأخذ المنافع الذاتية، وفوق ذلك إغضاء وإعراض عما قد يترتب على ذلك من مضرة في المصالح العامة، فلابد من الترفع عن الأهواء، والبعد عن حب الظهور، والابتعاد عن الانتصار للنفس والتشفي، وكم في مواقف الصحب الكرام رضوان الله عليهم ما يدل على سمو في هذه المعاني، أثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه في معركة وقتال مع الأعداء -ليس في حال من حالات السلم أو السكون- علا بسيفه على رجل من أهل الشرك، فسبه وبصق في وجهه، فأمسك علي سيفه وتركه، لم؟ قال: خشيت أن أنتصر لنفسي فلا أكون قتلته ابتغاء مرضات الله عز وجل! تلك النفوس التي ترتفع عن الانتصار لذاتها، والتشفي لمتطلبات أهواء نفوسها، وذلك ما ينبغي أن يكون، فكم من مخالف تختلف معه في قضية شخصية، ثم تأتي فرصة فإذا بك كأنما تنتقم منه، متخطياً العدل والإنصاف، متناسياً التثبت والتبين، مندفعاً مع حب الانتقام، أو مع تصفية الحسابات؛ وحينئذ تختلط الأوراق، وتعظم الفتنة، وتتكاثر أسباب الأزمة؛ لأنه تغيب حينئذ الحقائق مع مثل هذه الأمور. أيها الأحبة! لا عصمة إلا بالإيمان، ولا وقاية إلا بخوف الرحمن، ولا يمكن أن يسير الإنسان في هذا الحقل من الأشواك لما فيه من أهواء النفوس، ووساوس الشياطين، وقرناء السوء، وتسلط الأعداء إلا أن يعصمه الله سبحانه وتعالى باستمساكه بكتابه، واعتصامه بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ألسنا نعرف من مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم الكثير التي ترك فيها ما هو لنفسه؛ إرادة المصلحة العامة، وإرادة الخير للأمة؟ بل قد فعل ذلك أصحابه رضوان الله عليهم، فترفعوا عن مثل هذا،

التجرد من المصالح والمنافع الذاتية، والارتباط بمصالح الأمة والمصالح العامة

المصارحة والمناصحة

ويؤكد الشيخ علي بن عمر: لابد في أوقات الأزمة والفتنة أن تكون مصارحة مبنية على الحقائق، ومناصحة تترجم الحرص على المصلحة العامة، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في حديث من جوامع كلمه قدر النصيحة في دين الله عز وجل فقال: (الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم)، وهو حديث عجيب جدير بالتأمل ومعرفة دلالاته.. النصيحة لله عز وجل ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، فهل بقيت دائرة تخرج عنها هذه النصيحة ولا تشملها، فأين التناصح بالإخلاص، وقول الحق بالأسلوب والمنهج الحكيم الذي يحقق المنافع والمقاصد، ولا يكون مثيراً لغير ذلك مما يعارضه أو يناقضه؟ نحن نعلم كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يطبق ذلك، ويطبقه أصحابه، ويعلنون الحق، ويبرزون الصدق، خاصة في المواقف العصيبة مع كل الأدب والاحترام، ومع كل الحكمة ووضع الأمور في نصابها، أليست غزوة الأحزاب كانت شدة من أعظم الشدائد، ومحنة من أقسى المحن؟ في ذلك الأتون الذي مر بالنبي عليه الصلاة والسلام والصحابة مع شدة خوف وجوع وبرد، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يخفف عن أصحابه، فأراد مقترحاً أن يعطي لغطفان ثلث ثمار المدينة حتى ترجع عن الأحزاب، ويتفكك هذا الجمع الغفير من الأعداء. فسأل واستشار عليه الصلاة والسلام السعدين؛ سعد بن معاذ و سعد بن عبادة، فماذا قالا؟ بكل الأدب وبكل الفقه قالا: أوحي يا رسول الله أم أمر تراه لنا؟ أي: إن كان وحياً فهو موضع التسليم لا اعتراض ولا رأي ولا نقاش، فذلك الذي تخضع له الرقاب، وتمتثل له الأمة المسلمة، وأما إن كان رأياً تراه لنا قلنا الرأي، قال: (بل رأي أراه لكم) فصدقوه القول وصارحوه وقالوا: يا رسول الله! كنا وهؤلاء في جاهلية وكفر وهم لا يطمعون منا بتمرة إلا بشراء أو قرى، أفبعد أن أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم ثمارنا؟ والله! لا نعطيهم إلا السيف، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأيهم ومشورتهم. ينبغي أن نخلص النصح، والنبي صلى الله عليه وسلم قد جعل ذلك في البيعة للإسلام كما ورد في الحديث الصحيح من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: (بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فزادني: والنصح لكل مسلم) لماذا إذا رأينا المخطئ لم يكن عندنا إلا سهام الاتهام والإغلاظ والجفاء دون أن نخلو به، أو يكون فيما بيننا وبينه مناصحة؟! إن أقر بخطئه، وإن ثبت جرمه، قلنا له: عد إلى الله، وتذكر الله وارجع؛ فإن أبواب التوبة مفتوحة، وذلك يعين على تلافي كثير من الأخطاء، وعدم التمادي فيها.

الوحدة والاجتماع

تجب الوحدة والاجتماع، ومهما كان من أمر فإنه يجب وجود الوحدة الجامعة والولاية الشرعية المجمع عليها والمنعقدة والمنتظمة التي لا يصح الخروج عنها، ولا الانفلات منها، والأدلة الشرعية على ذلك كثيرة ، وإلى الأضرار والمفاسد المترتبة عليها، فينبغي حينئذ ألا نتبادل الاتهامات، وألا نسمح للاختراقات أن تشقق أو تفتت وحدتنا، وتزايد على لحمتنا، وتمس أصل اجتماعنا وائتلافنا على أصل ديننا، وعلى أصل ولايتنا، بحيث لا يكون هناك أثر لذلك.

الرجوع إلى الكتاب والسنة لابد لنا في كل أمر من أمورنا الخاصة والعامة، الصغيرة والكبيرة، أن يكون مرجعنا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقوال الأئمة من العلماء قديمهم وحديثهم، والاسترشاد بالآراء والتوجيهات التي ترتبط بذلك وتنطلق منه، ومن قبل ذلك ومعه كذلك: الاستجابة والطاعة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ولولاتهم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿الأنفال:٢٤﴾

قناة الجزيرة إلى أين؟؟

سلطان محمد المقرمي

ما يجري اليوم من أحداث وتظاهرات وانقسامات عمت الوطن العربي تقريباً طغى على معظمها الطابع التخريبي المسكون بآفات التشنج والعنف والتدمير للممتلكات الخاصة والعامة، يعزوها البعض لعوامل التراكمات والاحتقانات السياسية المزمنة، وتداعيات الخلافات الحزبية والأفكار المتطرفة التي ولدت ثقافة الكراهية والتعصب الأعمى الناتج عن الممارسات التعبوية وخطاب التعمية والتجهيل للوصول إلى أهداف هذه القوى السياسية أو تلك.

ووسط هذا الجو المشحون بالخلافات السياسية المتواترة والرؤى الفكرية المتنافرة المتضاربة، لعب الإعلام دوراً كبيراً في توسيع هوة الخلافات بمزيد من الفرقة والشتات بين أبناء الوطن الواحد.. ولو نظرت حولك: تجد عداء الإخوة، وتنافس الأصدقاء وتنافرهم إلى حد القطيعة، وفي مرافق العمل تجد صراع زملاء المرفق الوظيفي إلى حد إيقاع أبلغ الأضرار ببعضهم بعضا، هذه التركيبة المجتمعية تكاد تعم ولا تخص فئة عن فئة من فئات المجتمعات العربية عموماً أدركها الإعلام المحلي والعربي فراح يعزف على إيقاعاتها فيذكي النعرات ويعمق الخلافات والإثارة الخبرية المصحوبة بالصورة المفبركة المغلوطة كمن يفرح بشمات أهله.

ولما نجحت ثورتا تونس ومصر تحركت مجاميع شبابية في عدد من البلدان العربية في هيئة تجمعات احتجاجية تطالب حكوماتها بالإصلاحات الاقتصادية والعدل والمساواة، وتجفيف منابع الفساد من جذوره، وبالمثل خرج بعض من طلبة جامعة صنعاء ممن تأثروا بمجريات الأحداث في مصر وتونس، فكانت مطالبهم متواضعة بعض الشيء يمكن حلها، لكن تباطؤ المسئولين أدى إلى سرعة تحرك الخصوم السياسيين باستغلال حماس الطلاب بهدف استخدامهم كورقة ضغط لتصفية حسابات سياسية، ولولا تدخل القنوات الفضائية خاصة (الجزيرة) لكانت الأمور أفضل مما هي عليه الآن حيث سعت وبقوة إلى تأجيج المشهد السياسي وراحت تصب الزيت على النار، تقولب الأحداث وتضلل المشاهد وتفتري كذباً وبهتاناً من خلال دغدغة المشاعر وتخدير عقول الناس وفقاً لأجندة مخفية أخذت زمام المبادرة في تنفيذ بنودها أولاً بأول فإذا بها تتعمد الإثارة وتشعل فتيل الأزمة داخل المجتمعات العربية فتزعم أن العام ٢٠١١م هو عام الثورة العربية الشاملة.

فأية ثورة عربية هذه في ظل الهيمنة الاستقوائية التي تحرك الأساطيل والبوارج الحربية وصدور قرارات الأمم المتحدة بهذه السرعة غير المعتادة؟!

السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: أين كانت هذه الأساطيل، وهذا التهديد والوعيد، وأين كان هؤلاء المولولون عندما كان الشعب الفلسطيني في قطاع غزة يتعرض للقصف الجوي الإسرائيلي وإحراق الأخضر واليابس في كل من لبنان والعراق..؟

حقيقة الأمر أن وطننا العربي اليوم يمر بمنعطف تاريخي خطير، فالمرحلة ليست كما يصورها الإعلام.. فلنا تجارب وعبر مع الثورة العربية التي قادها ضابط الاستخبارات البريطانية توما لورانس (ملك العرب) غير المتوج المعروف بـ(لورانس العرب).. كانت حصيلة ما عرف بالثورة العربية ضد الأتراك تقسيم فلسطين بعد رفض السلطان عبد الحميد التنازل ولو بشبر واحد للمهاجرين اليهود، وبالثورة العربية ضد الأتراك فوجئ العرب بإعلان وعد بلفور ١٩١٧ م مكافأة لهم بغرس النبتة الصهيونية في خاصرة العرب والمسلمين، ما زلنا نعاني ويلاتها حتى اللحظة.. فماذا ستكون مكافأتنا يا ترى؟؟! الجواب لا ريب يعرفه الشيخان سويدان والقرضاوي اللذان يدسان السم بالعسل..؟! والله المستعان.